سباق
الإيمان
أر. سي. سبرول

سباق الإيمان

Copyright © 2016 by R.C. Sproul. Originally Published by Ligonier Ministries, under the title *The Race of Faith*. Translated by permission. All rights reserved.

اسم الكتاب: سباق الإيمان
المؤلف: أر. سي. سبرول
© ٢٠٢١ خدمات ليجونير
الناشر: خدمات ليجونير
المشرف العام على الترجمة: الدكتور القس/ شريف جندي

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة. يُمنَع إعادة طبع أي جزءٍ من هذا الكتاب، دون إذن خطي مُسبَقٍ من الناشر، كما يُمنَع تخزينه بأي شكلٍ يسمح باسترجاعه وإعادة استعماله. ويُمنَع نقله بأي شكلٍ من الأشكالِ وبأيَّة وسيلةٍ، سواءٌ كانت إلكترونيَّةً، آليَّةً، بالاستنساخِ الفوتوغرافي أو بالتسجيلِ الصوتي وخلافهِ. ويُستثنَى من هذا حصريًّا الاقتباسات القصيرة الموضوعة بين هلالين مع ذكرِ مصدر الاقتباس بالتوثيقِ العلمي.

اقتباسات النصوص الكتابيَّة مأخوذةٌ من ترجمةِ البستاني - ڤاندايك، إلَّا إذا أُشيَر إلى غيرِ ذلك.

سباق الإيمان

أر. سي. سبرول

قانـون إيمـان الرسـل

أؤمنُ باللهِ الآب، الضابط الكل،
خالق السماء والأرض؛
وبربنا يسوع المسيح، ابنه الوحيد؛
الذي حُبِلَ به من الروح القدس،
ووُلِدَ من مريم العذراء؛
وتألّمَ في عهدِ بيلاطسَ الْبُنْطِيُّ،
وصُلِبَ وماتَ ودُفِنَ؛
ونزلَ إلى الهاوية.
وقامَ أيضًا في اليوم الثالث من بين الأموات؛
وصَعِدَ إلى السماء؛
وهو جالس عن يمين الله الآب الضابط الكل؛
وسيأتي من هنالك ليدينَ الاحياءَ والأموات.
وأؤمنُ بالروحِ القدس؛
وبالكنيسةِ المقدّسة الجامعة؛
وبشَرِكةِ القدّيسين؛
وبمغفرةِ الخطايا؛
وبقيامةِ الأجساد؛
وبالحياةِ الأبدية، آمين.

فهرس

طلب المجد..... ٧

الفصل الأول سباق الحياة ١٢

الفصل الثاني ما هو الإيمان؟..... ٢٤

الفصل الثالث اللّه الآب..... ٣٣

الفصل الرابع
شخص وعمل المسيح(الجزء الأول)..... ٤١

الفصل الخامس
شخص وعمل المسيح(الجزء الثاني)..... ٤٩

الفصل السادس الروح القدس والكنيسة..... ٦١

الفصل السابع الغفران، القيامة والحياة الأبدية..... ٧١

طلب المجد

إن طلب المجد هو أمر محفزٌ للغاية. كم من المرات حاولنا جاهدين أو أسرعنا أكثر للحصول على المجد في حين أنه في متناول اليد. بل إننا على استعداد للتضحية بالراحة الشخصية للحصول على فرصة للمجد. ونحن نكرر عبارة «بلا ألم، لا ربح!»، نصارع للدفع للأمام. نريد أن يكون لحياتنا معنى. نريد أن يتذكرنا الأخرون لسعينا وراء شيء له قيمة.

هناك سبب أننا نشعر بهذا العطش العميق للمجد. ففي كلمة الله نكتشف أننا قد خُلقنا من أجل المجد. لقد شكّل الله أجسادنا ونفخ الحياة فينا حتى نعرف عظمة

قداسته ونقف في رهبة أمامها. كان القصد هو أن تتأثر بشدة قلوبنا وعقولنا بصلاح الله، لكي نعبده ونطيعه بسرور. وبهذه الطريقة، سوف نعكس مجد الله المذهل.

ومع ذلك، انظر حولك. فالعالم لا يتألق بمجد القداسة، أليس كذلك؟ ربما لاحظت كيف أن الشر قد شوّه عالمنا. هناك معاناة، ومرارة، وخداع، وموت. إن كنّا قد خُلقنا لمعرفة مجد الله، فما الخطأ الذي حدث؟

إن الجواب المقدم من كلمة الله يشير إلى قلوبنا. لقد خُلقنا للاتكال على الله وتقديم المجد له. لكننا نُصرّ على البحث عن مجدنا بدلاً من ذلك. لقد استبدلنا إرادة الله برغباتنا الخاصة، وبدأنا في صنعِ اسم لأنفسنا. هذا ما يسميه الإنجيل «الخطية» وهي عصيان

قصد الله لنا. تغرينا الخطية لإيجاد الشبع في ضعفنا بدلاً من عظمة الله. إننا نحاول بشكل خاطئ أن نجد مجدًا دائمًا في هويتنا، أو في عملنا، أو في أحلامنا. ولكن مرارًا وتكرارًا نجد أنفسنا فارغين وبدون شبع. كما نجد أنفسنا مُدانين لأن خطايانا لا تمر دون أن يلاحظها الله. فهو الديّان العادل. ونحن مذنبون لأننا تركنا حقه في محاولتنا لإقامة حقنا. تُوصف عقوبة هذه الخطية بوضوح تام: الموت والانفصال الأبديّ عن الله.

لكن رسالة الإنجيل هي أخبار سارة ورائعة! «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ»، يقول الكتاب المقدس، «حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ». اتّخذ يسوع المسيح، ابن الله الكامل، صورة إنسان لكن بدون خطية الإنسان. عاش

بين البشر ولكن بدون المشاركة في عصيانهم. لم يتردّد في تحقيق إرادة الله وتمجيد اسم الله. لقد أظهر تمامًا مجد الله.

يقول الكتاب المقدس أن يسوع المسيح «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ». قادته طاعته إلى الموت على الصليب. لماذا؟

ها هو الجواب: أخذ يسوع المسيح دينونتنا في نفسه. مات موتنا حتى نحيا نحن. تألّم من العقوبة التي كان علينا أن نتحمّلها نحن. أخذ خطايانا حتى نختبر الغفران. لقد أعطى حياته لكي نكون مقبولين أمام الله. مات من أجلنا حتى نعترف بخطايانا ونجد الخلاص فيه. هذا أمر رائع، أخبار سارة! وبعد ثلاثة أيام من موته، قام يسوع المسيح ثانية. لقد انتصر على الدينونة والموت والخطية!

يضع الكتاب المقدس الأخبار السارة هكذا: «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». في يسوع، ننال عطية الغفران، والرجاء، والسلام، والشبع. في يسوع، يتم قبولنا بسرور في محضر الله ونكتشف من جديد جمال محبته وقداسته. هذا هو الخلاص. وهذا حقًا أمر مجيد. هذا هو الإنجيل.

صديقي العزيز، هل اعترفت بآثامك وآمنت بيسوع المسيح؟ هل أنت على استعداد للثقة في موته وقيامته باعتبارهم الوسيلة التي يتم من خلالها خلاصك؟ قد يتم خلاصك اليوم. سوف يغفر لك الله خطاياك.

صلاتنا هي أن تؤمن به وتكتشف أن مجده يُشبع حقًا.

الفصل الأول

سباق الحياة

قال كثيرون إن الأمر مستحيل. فكلُّ الذين حاولوا قبلَهُ مرةً بعد مرّة قد فشلوا. كان الهدفُ قريبًا بشكلٍ مغرٍ، ومع ذلك كان بعيدَ المنال. كان حلُم كلِّ عدّائي المسافات المتوسطة أن يركضوا ميلاً كاملاً في أقل من أربعِ دقائق. كان الرقم القياسيّ ما زال ثابتًا على التوقيت ٤:٠١.٤ منذ العام ١٩٥٤. لكن من مطلع العام ١٩٥٠، تعاقب المتنافسون على محاولة تحقيق هذا الحلم، ومن بينهم جوني لاندي من أستراليا وويس سانتيه من الولايات

المتحـدة، اللذَيـن أقتربـا كثـيرًا مـن هدفهما وسـجّلا ٤:٠٣.٦ و٤:٠٢.٤ و٤:٠٢.٠. وكان العـدّاءُ الإنجليـزي رودجـير بانيسـتر يراقـبُ النتائـجَ تقـتربُ مـن الرقمِ القيـاسيّ أكـثرَ فأكـثر، وهـو يعلـمُ أنـه إذا أرادَ أن يحظـى بفرصتِـهِ لكـسرِ الرقـم القيـاسي، عليـه أن يشـتركَ في السـباقِ في مـدة قصـيرة.

وكشـابٍ هـاوٍ واعـد، كان بانيسـتر مـن بـين الأفضـل، وحصـدَ الإعجـاب في سـباقات الـ١٥٠٠ مـتر، (الميـل المـتري)، في الألعـاب الأولمبيـة التـي جـرت العـام ١٩٥٢ في هلسـينكي فنلنـدا. لكـن تمـت إضافـة سـباقٍ جديـدٍ لم يكـن يتوقعُـه عـلى جـدولِ المباريـات نّصـف النهائيـة. ومـع أنـه تأهـلَ للنهائيـات، إلا أن السـباقَ الإضـافيٍّ كان قـد اسـتنزفَ طاقـة بانيسـتر. وبعـد أن جاهـدَ في ميـدانِ سـباقٍ عويـص، أتـت النتيجـةُ مخيّبـةً للأمـالِ وحـلَّ في المرتبـةِ الرابعـة.

كان على بانيستر أن يختار. فهو تخلّى في السابق عن فرصةِ الاشتراكِ في المنافسة في الألعاب الأولمبية التي جرت في لندن السنة ١٩٤٨، لأنه اعتبر نفسه صغيرَ السنِّ وعديمَ الخبرة. بعدها خاضَ غمارَ مهنةِ الطب. لكن المطالب المتزايدة لعملِهِ دوامًا كاملاً في حقلِ الطب، كانت تعني أنه لن يستطيعَ أن يتدرّبَ كما يجب ليشتركَ العام ١٩٥٦ في ألعاب ملبورن في أستراليا. كان بانيستر يفكّرُ في التخلّي عن الركض. لكنه بعد شهرين من المشاورات، قرّرَ أن يضعَ نُصبَ عينيه هدفَ كسرِ الرقمِ القياسي في الركضِ ميلاً واحدًا في مدة أربع دقائق.

المحاولاتُ التي قام بها في العام ١٩٥٣، جعلت بانيتسر يقتربُ من الرقمِ القياسي، وأقنعَتهُ بأن تلك الدقائق الأربع هدفٌ يمكن

تحقيقُه. وهكذا، يوم السادس من مايو عام ١٩٥٤، شدَّ بانيتسر رباطَ حذائِهِ وهو يقفُ في ميدان سباق آيفلي رود في أكسفورد. وكان يركضُ لصالحِ مؤسسةِ الرياضيين البريطانيينَ الهواة، في سباقٍ ضدّ جامعةِ أكسفورد. كان يومًا باردًا وممطرًا، وكانت الرياحُ العاصفةُ تهدّدُ بجعلِ ظروفِ الركض تعاكسُهُ.

وصلَ بانيستر وهو يلبَسُ حذاءً خاصًا بالركض مَصقولاً ومغطى بالجرافيت لمنع الطَّمي من التراكمِ عليه. وبينما كان موعدُ الإنطلاقِ عند السادسة مساءً يقترب، أخذَ يشعرُ بالقلقِ من الطقس ويفكّرُ بالانسحاب. لكن مدرّبَهُ كان مقتنعًا أن هذا اليومَ يمثّلُ أفضلَ فرصةٍ له. وما أن بدأتِ الرياحُ تهدأ، قبل وقتِ الإنطلاقِ مباشرة، قرّرَ بانيستر أن يغتنِمَ فرصتَهُ.

بعد دقائق قليلة من التوتر بسببِ انطلاقٍ خاطئ، بدأَ السباق. احتمى بانيستر خلفَ محدِّد قياسِ الخطوات كريس براشر الذي قاده في أولِ لفّتَين. عندما وصلا إلى إشارةِ منتصفِ الطريق، كان التوقيت يسجّل ١:٥٨. خرج براشر واستلم تشاتاواي مَهمَّةَ تحديدِ قياسِ الخطوات، وقادَ بانيتسر في اللفّةِ التالية حتى أصبحَ التوقيت ٣:٠٠.٧. والآن على بانيستر أن يركضَ اللَّفة النهائية في أقلَ من ٥٩ ثانية.

أكمل تشاتاواي في الطليعة حتى المرحلة الأخيرة قبلَ أن يخرجَ من الحلَبة، تاركًا بانيستر ليخوضَها لوحدِهِ. عندما ابتدأَ بلفّتِهِ الأخيرة، كان على بانيستر أن يقطعَ مسافة ٢٧٥ مترًا تقريبًا. وبينما كان شريطُ النهايةِ يقترب، اندفعَ بانيستر وعبَرَ خطَّ النهاية، من ثم انهارَ من شدّةِ التعب.

انتظـرت الجمـوعُ بقلـق بينـما كانـت تترقّـب مـا سـيعلنُه مذيـعُ السـباقِ. أخـيرًا أُعلِنَـتِ النتيجة: »التوقيــت هــو ٣...«، لكــن المذيــعَ لم يســتطعْ أن يُكمــل الإعــلانَ لأنّ الحشــودَ ثــارت فرحــةً. أمــا بانيســتر وبــاشر وتشــاتاواي، فقفــزوا قفــزةَ الإنتصــار. لقــد تحقّــقَ الحلُــمُ المســتحيل.

دقائـقُ رودجـير بانيسـتر الأربـع كانـت إنجـازًا رياضيًـا مجيـدًا. إنهـا تخبرُنـا عـن العمـلِ الشـاق، وعـن التخطيـطِ والتدريـبِ الدَّقيقَـين، وعـن العـزمِ والتصميـم. هـذه هـي الصفـات التـي خَدَمَـت بانيسـتر جيـدًا في مهنتِـهِ كعـدّاء، وأيضًـا في مهنتِـهِ الطبيّـة. إن صفاتًـا كهـذه لهـي نافعـة في حياتِنـا نحـن أيضًـا، لأنـه غالبًـا مـا تُشـبّهُ الحياةُ بالسـباق. هنـاك بدايـة وهنـاك نهايـة، والكثـيرٌ مـن الجهـود تُبـذلُ مـا بـين هـذه وتلـك. وإذا كانـت الحيـاةُ سـباقًا نركـضُ فيـه كلنـا، فـما هـو الهـدف الـذي

نركض نحوه ؟ أين هو خطُّ النهاية؟ يُمكنُ أن تكونَ الحياةُ مُتعِبة، فنحن نتعبُ ونريدُ أن نُبَطِّئَ سيرَنا. لكننا مع ذلك نَمضي قُدُمًا. لكن ما هو الذي نسعى نحوه؟

آمن معظمُ الناس عبر التاريخ بنوعٍ من الحياةِ بعد الموت. يؤمنُ البعضُ بالكارما وتناسخ الأرواح، حيث نعودُ إلى الحياةِ في دورةٍ لا تنتهي، وحيث أعمالُنا في حياةٍ ما تحدّدُ وضعَنا في حياةٍ مقبلة. معظمُ الناسِ يؤمنونَ بنوعٍ من الجنة، بحالٍ من النعيم. أما اختلافُهم فهو حولَ طريقةِ الوصولِ إلى هناك.

بالنسبة للمسيحيين، فالأجوبة على هذه الأسئلة موجودة في الكتاب المقدس. الكتابُ المقدس هو أكثر الكتبِ مبيعًا في التاريخ؛ وهو كذلك لسببٍ وجيه: إنه كلمةُ الله، إعلانه

الكامـلِ الموثـوقِ بـه للبـشر. وهـو يحتـوي عـلى معلومـاتٍ أساسـية بالنسـبة لنـا لـكي نعـرفَ ونقـدّمَ أجوبـةً عـلى الأسـئلةِ التـي نطرحُهـا كلُّنـا. إنهـا الخارطـة التـي ترسُـمُ لنـا الطريـقَ لـكي نسـيرَ في السـباق الـذي ندعـوه الحيـاة.

عندمـا تفتـحُ الكتـابَ المقـدّس، سـتجد أنـه يحتـوي عـلى قِسـمين، العهـد القديـم والعهـد الجديـد. والقسـمان يضـمّان سـتةً وسـتون سـفرًا، كتبَهـا عـدة أشـخاص خـلال فـترة زمنيـة امتـدّت حـوالي ١٥٠٠ سـنة تقريبًـا. وهـذه الأسـفار تختلفُ في محتواهـا مـن التاريـخِ إلى النبـوّة والشـعر والسِّـيَرِ الذاتيّة—لكنهـا كلهـا تخـبرُ قصـةَ تعامـلات اللـه مـع شـعبِهِ.

إن العهـدُ القديـم هـو تاريـخ شـعبِ اللـه قبلَ تجسـد المسـيح. ويحتـوي عـلى قصـص انتصاراتِهـم

وهزائِمِهم؛ فنسمعُهم يبتهجونَ ويستنجِدون. نرى اللهَ يعاقبهم على عصيانِهم وينقذُهُم من أعدائِهم. ومن خلال كلِّ ذلك نرى عنايةَ الله بشعبِهِ، ونسمعُهُ يعِدُ بأنه سيخلّصُ شعبَهُ تمامًا وبشكلٍ نهائيّ بمخلّصٍ سيأتي.

ذاك المخلّصُ هو يسوعَ المسيح. كان رجلاً عاشَ في فلسطين منذ ألفي عام. لكنه لم يكن مجرّد رجل، بل كان الله الذي ظهرَ في الجسد. يخبرُنا العهد الجديد قصتَه حول من هو وماذا فعل عندما كان على الأرض. من ثم يخبرُنا ما قالَه وفعلَه أتباعُهُ بعد أن صَعدَ إلى السماء.

يسوعُ هو في صلبِ الإيمانِ المسيحي. والتقرير عن شخص يسوع وعمله من أجل شعبِه يدعى الإنجيل، ومعناه «الأخبار السارة». تعني الأخبار السارة أنه يمكننا أن نتحرّرَ من

الخطيـة وأن نتصالـحَ مـع اللـه. وكنتيجـةٍ لهـذا، يتطلّـعُ المسـيحيون إلى لقائِهـم باللـه بعـد المـوت لـكي يعبـدوهُ إلى الأبـدِ بفـرحٍ لا ينتهـي. واللـه، لأنه إلـهٌ محـبٌّ ورحـوم، قـد أمَّـنَ لنـا الوسـيلةَ عـبر الإنجيـل لـكي نكـون معـه بالرغـم مـن العوائـق الكبـيرة التـي تنتظرنـا في الطريـق. هـذه الوسـيلة هـي مـن خـلال يسـوع المسـيح.

كتـب الرسـول بولـس، وهـو أحـد أتبـاعِ يسـوع وكاتـبُ جـزءٍ كبـيرٍ مـن العهـد الجديـد، قائـلاً: «أَسْـعَى لَعَـلِّي أُدْرِكُ الَّـذِي لِأَجْلِـهِ أَدْرَكَنِـي أَيْضًـا الْمَسِـيحُ يَسُـوعُ» (فيلبـي ٣: ١٢). يتحـدّث بولـس عـن الحيـاةِ بعـد المـوت والنعيـمِ الأبـديِّ في السـماء. ومحـورُ جهـودِه هـو يسـوع المسـيح، فبولـس يسـعى قُدُمًـا لأنـه ينتمـي إلى يسـوع. لقد تغـيّرت حياتُـهُ بفضـل يسـوع، والآن أصبـح يعيـشُ حياتَـهُ لهـدفٍ جديـدٍ وضعـه نصـب عينيـه.

إن الحياةُ المسيحية مؤسسة على الإيمان بيسوع المسيح، مما يعني أن هناك أشياءَ على المسيحيين أن يؤمنوا بها لكي يُدعوا مسيحيّين. ويسوعُ المسيح - من هو وماذا فعل عندما كان على الأرض- هو في مركزِ الإيمان المسيحيّ. عبر تاريخ الكنيسة، اجتمع المسيحيونَ معًا وكتبوا إقرارات تصفُ بالضبط ما يؤمنونَ به، على أساسِ تعليمِ الكتابِ المقدّس. هذه الملخصّات للإيمان المسيحي هي مفيدة، للمؤمنين ولغير المؤمنين على السواء، في مساعدتِهم على فهم ما يعنيه أن نكونَ مسيحيين.

إن قانون إيمان الرسل هو أحد إقرارات الإيمان الأولى تلك. ويعودُ تاريخُه إلى نحو السنة ٤٠٠ ميلادية، أي بعد زمن المسيح بحوالي ٣٠٠ سنة. وتشيرُ التسمية «قانونُ إيمانِ الرسل»

إلى أنـه يلخّـصُ تعليـمَ الرُسُـلِ الذيـن كانـوا أتبـاعَ المسـيح والذيـن عيَّنَهُـم خلفـاءَ لـه.

سـنحاولُ، في الأجـزاء التاليـة مـن هـذا الكتاب، أن نسـاعدَ القـارئ عـلى فَهـم قانـونِ إيمـانِ الرسـل. وسـنتناولُ بالتفصيـلِ قانـون الإيمـان، موضِّحـينَ معنـاه. هدفُنـا هـو أن نُقـدّمَ للقـارئِ فهـمًا واضحًا وموجـزًا لأسُـسِ الإيمـانِ المسـيحيّ، ومـا يعنيـه أن نركـضَ في سـباقِ الحيـاة، وفقًـا للإيمـان بالمسـيح وبحسـب تعاليـم الكتـاب المقـدّس.

الفصل الثاني

ما هو الإيمان؟

أؤمنُ باللهِ الآبِ، الضابط الكل...

يبدأُ قانونُ إيمانِ الرسل بالكلمة «أؤمن». ماذا يعني أن تقولَ إنك تؤمنُ بشيء ما؟ ما هو مفهوم الإيمان وماذا يعني أن نؤمن؟ الإيمان هو مسألةٌ حيوية للمسيحية، حتى أنها تُدعى أحيانًا «الإيمانُ المسيحي». ولكي نفهم المسيحية، يجب أن نفهمَ ما يعنيه أن نؤمنَ، أو أن يكون لدينا إيمان. غالبًا ما يُعتبر الإيمان أنه

نقيـضُ المنطـق أو نقيـض «الإدراك الحـسّي»، أي الأشـياء التـي يمكننـا أن نذوقَهـا ونراهـا ونشـمَّها ونسـمعَها. بمعنـى آخـر، غالبًـا مـا نضـعُ الإيمـانَ في مواجهـةِ الطـرق الأخـرى التـي بهـا نتعلّـمُ عـن الأشـياء. يعتقـد كثـيرون أن الإيمـانَ هـو عكـسُ المنطـقِ أو الإدراك الحـسي. فبالنسـبة لهـم، لـكي يكـون لدينـا إيمـان علينـا أن نتـصرّفَ دون منطـقٍ أو إدراكٍ حـسيّ. لكـن ليـس هـذا مـا يعلّمُـه الكتـابُ المقـدّس. عـلى عكـس ذلـك، نحـن نجـدُ في الكتـابِ المقـدّس أسُـسَ المعرفـة، بمـا فيهـا المنطـق والإدراك الحـسيّ أيضًـا. يرتكـزُ الإيمـان عـلى هـذه الأسُـس، لكنـه يأخذُنـا أيضًـا إلى مـا هـو أبعـد مـن تلـك الحـدود.

قـد يبـدو هـذا غريبًـا، لأن الكثيريـن يجعلـون الإيمـان وسـيلة منفصلـة تمامًـا للمعرفـة. لكـن

كيف يمكنُ أن نتلقّى أيّ من المعرفة من الله، إذا كانت عقولُنا لا تفهمُها؟

أحد قوانين الإيمانِ الأولى بسيطٌ جدًا وموجود في الكتاب المقدّس. إنه التأكيد بأن «يسوع هو ربّ». قد ننطق بهذه الكلمات دون أن نفهمَها. يمكنك أن تكرّرَ هذا التصريح دون أن تدركَ مفهوم أن يكون هناك «ربّ»، وماذا يعنيه الضمير «هو»، وإلى ماذا يشيرُ اسم «يسوع». وإذا قلتَ الكلمات دون أن تفهمَها، فأنت لست في الواقع تؤكّدُ ما تعنيه تلك الكلمات، لأنك لا تجاهرُ بإعلانٍ صحيحٍ عن الإيمان. إذًا، فلكي تؤمن بالإنجيل وليكون لديك إيمانٌ بيسوع، يجبُ أن يتمتعَ ذهنُك أولاً بمقدارٍ معين من الفَهم لرسالةِ الإنجيل.

المسيحيةُ هي أيضًا إيمانٌ أو ديانة لها كتابُها الذي يحتوي على تعاليمَها وعقائدِها

المَصُوغة بشكلٍ يمكّنُنا من فهمها. فليس من المنطقيّ أن يكونَ بين أيدينا وثيقةٌ مكتوبة إذا كنا مقتنعين أن الإيمانَ يتخطى العقل. لأن الهدفَ من الوثائقِ المكتوبة هي أن تُقنِعَ الناس. إنها تحثُّ الناس على استعمالِ عقولِهم لكي يفكّروا بالرسالةِ التي تحتويها الوثيقة. إذًا فالإيمان، بحسب الكتابِ المقدّس، ليس «إيمانًا أعمى». فنحن لا نؤمنُ وأعينُنا مُغمضة. في الواقع، يدعونا الكتابُ المقدس لكي نفتحَ أعينَنا على الحقيقة. إنه يدعونا لكي نخرجَ من الظلمةِ إلى النور.

على صعيدٍ آخر، لن يجعلَ المنطقُ البحت أيَّ إنسانٍ يؤمنُ بالإنجيل. ولا الإدراكَ الحسيّ بمفرده سيتممُ هذه الهمة. يقولُ الكتاب المقدس «وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى.» (عبرانيين ١١: ١). يتضمّن

الإيمان أشياءَ لا يمكنُنا أن نراها أو نسمعَها أو نلمسَها. لم يرَ أحدٌ اللهَ من قبل، لا يمكنُنا أن نرى السماوات، لكن يمكنُنا أن نرى عملَ يديّ الله في الخليقة.

تُدعى المسيحية «الديانةُ المُعلَنة». يؤمنُ المسيحيونَ بإلهٍ يعلن عن ذاتَه من خلال الطبيعة، لكننا نؤمنُ أيضًا بإلهِ قد تكلّم إلينا. عندما نتحدّثُ عن الإيمان بأنه الإيقانُ بأمورٍ لا تُرى، فنحن نقصِد الإيمانَ بالله وبما أعلنَه لنا في الكتاب المقدّس. فهو ليس إيمانًا غير منطقي أو غير عِلمي. فالإيمانُ المسيحي مؤسَّسٌ على أحداثٍ تاريخية قد حدثَت في الواقع؛ أحداثٌ يمكنُ التحقّقُ منها عبرَ وسائلَ علمية وحسّية.

إذًا ونحن نتلو قانونَ الإيمان - عندما نقولُ «أؤمنُ» - فنحن نؤكّدُ موافقتَنا على تعاليم

المسيحيةُ والكتاب المقدّس. وهذا ليس بالإيمانِ الأعمى، بل هو أيمانٌ حقيقيٌّ حيويّ. إذًا بالمعنى الكتابي، ليس المنطق والاختبار ضدان للإيمان، بل السذاجة والخرافات.

من المهمِّ أن نؤكّدَ على مركزيةِ الإيمان في المسيحية. وهذا كان السبب وراءَ حدوث الإصلاح البروتستانتي في القرنِ السادس عشر. لقد قدّم مارتن لوثر وآخرين أيضًا الحُجَجَ أننا بالإيمان، وبالإيمانِ وحده، نتبرَّرُ أو نصبحُ أبرارًا أمام الله. وهذا يطرحُ بعض الأسئلة. أيُّ إيمانٍ هذا الذي يُبرّر؟ تَذكُرُ رسالة يعقوب في العهد الجديد أن الإيمانَ دون أعمال ميت، ولا يمكنه أن يخلّصَ أحدًا. وكما ذكرَ لوثر، الإيمانُ الذي يفدي هو إيمانٌ حيوي، إيمانٌ حيّ. لهذا يجب أن يكون إيمانُنا حيًا لكي يكونَ إيمانًا مخلِّصًا. لكن ماذا يتضمّنُ إيمانًا كهذا؟

علّم قادةُ الإصلاح أن هناك على الأقل ثلاثةَ عناصر متميّزة في الإيمان الكتابي. العنصر الأول هو مضمون ما نؤمنُ به. إذ لا يكفي أن نؤمنَ بأيِّ شيءٍ نريدُ أن نؤمنَ به، ما دمنا نؤمنُ به بصدق. فلكي يخلّصكَ إيمانُكَ يجب أن يكون مضمونُه كتابي.

أعطانا العهدُ الجديد المضمونَ الأساسي للإيمانِ المُخلّص: أن المسيح هو ابن الله؛ أنه المخلّص؛ أنه مات عن خطايانا؛ وأنه قام من الأموات. هذا ما بشّرَ به الرسل ودعوا الناسَ ليؤمنوا به. لكن قبل أن يؤمنَ أي إنسانٍ بهذا، عليه أن يعرفَه ويفهمَه أولاً.

العنصر الثاني من الإيمانِ المخلّص هو القبول الفكري. هذا يعني أنك توافقُ على أمرٍ ما لأنه صحيح. عندما أسأل «هل تصدّقُ

أن السماءَ زرقاء؟»، فما أسألُه ببساطة هو ما إذا كنتَ تثقُ بأن هذا القولَ صحيح. إذا أجبتَ بنعم، تكون قد وافقتَ فكريًا على هذا القول. وهكذا أيضًا سأل المسيحيون الأوائل «هل تؤمنُ أن يسوعَ هو ابنُ الله؟» فأجاب بعض الناس «كلا»، وأجاب البعضُ الآخر «نعم». لكن الإجابة بنعم لا تكفي لنحظى بالإيمان الذي يخلّص، لأن الكتابَ المقدّس يذكر أنه حتى الشياطينَ عرفت من هو يسوع وأنه ابنُ الله.

وهنا نأتي إلى العنصرِ الثالث من الإيمانِ الذي يُخلّص. هذا يشمل الثقة الشخصية أو القبول الشخصي. فأنت لا تعرفُ فقط ما يعلنُه الكتاب المقدّس عن أن يسوعَ هو ابن الله، بل تؤمنَ أيضًا بأن هذا الإعلانَ صحيح، وأكثر من ذلك، أنت تقبل هذا الإعلان. فأنت

ترى بفرحٍ يسوعَ على حقيقتِه وتبتهجُ لأنك تثقُ به. فالشخص الذي يملِكُ الإيمانَ المخلّص بالمسيح، كان ذات يومٍ إنسانًا منفصلاً عنه وعدائيًا ضدّه، لكنه الآن يحبُّه ويعبدُه.

عندما يقولُ أحدُهم «أنا أؤمن»، فهذا يعني أنه يَقبلُ بقلبِه وبإرادتِه انتصارَ وغلبةَ المسيح. وهذا هو إقرار الإيمان. فنحن لا نتلو قانونَ الإيمان فقط لأننا نعتقدُ أنه صحيح. الإيمانُ هو أكثرُ من مجرّدِ المعرفة والقبولِ الفكري، لكنه ليس أقلَّ من ذلك أيضًا.

الفصل الثالث

اللّه الآب

أؤمنُ باللهِ الآب، الضابط الكل،

خالق السماء والأرض...

إن محـورَ الإيمـانِ المسـيحيّ هـو يسـوعَ المسـيح. لذلـك تركّـزُ الجُمَـلُ الأولى مـن قانـونِ الإيمـان عـلى شـخصِ يسـوع. كذلـك، معظمُ المؤمنـينَ الأوائـل كانـوا مـن خلفيـةٍ يهوديـة. فهُـم بالفعـل يؤمنـونَ باللـه الآب، فـما كانـوا يحتاجـونَ سـوى أن يؤكّـدوا عـلى إيمانِهـم بيسـوع.

بحلولِ السنة ١٠٠، بدأت أعدادٌ كبيرةٌ من غير اليهود تتدفقُ إلى الكنيسة. ولم يعد من المُسلّمات أن المؤمنينَ من الأمم لديهم فَهمٌ واضحٌ عن التوحيد، أي الإيمانِ بالإلهِ الواحد. فمعظمُ الذين اعتنقوا المسيحية من الأمم كانوا يؤمنونَ في السابق بتعدُّدِ الآلهة. فبرزتِ الحاجةُ إلى بعض التوجيهات الأساسية.

في ذلك الزمان، عندما كانوا يعمّدونَ مؤمنًا جديدًا، كانوا يطرحونَ عليه سلسلة من الأسئلة. فأصبحت هذه الأسئلة أساسًا لاعترافات الإيمان الواردة في قانون إيمان الرسل، وكانت تبدأ بالسؤال: «هل تؤمنُ بالله الآب، الظابط الكل؟».

الآبُ هو الله الذي أَعلنَ عن ذاته في العهد القديم. لكن عندما أتى يسوع، لم يأتِ

لـكي يحُـلّ محـلَّ الآب أو لـكي يخلفَـه. بـل أتى ليُعلـنَ عـن الآبِ. هنـاك علاقـةٌ وثيقـة بـين يسـوعَ التاريخـي بحسـب العهـدِ الجديـد واللـه الآب، أي إلـه العهـد القديـم.

تمسّـكت المسـيحيةُ منـذ نشـأتها عـن وعـي ذاتي بعقيـدة الثالـوث، لأنهـا أكّـدت أن هنـاك ثلاثـةَ أقانيـم في الـذات الإلهيّـة -الآب والإبـن والـروح القـدس. لاحـظ التـدرّج في نـص قانـونِ إيمـان الرسـل: «أؤمـنُ باللـه الآب... وبربنـا يسـوع المسـيح ابنـه الوحيـد... [و] بالـروحِ القـدس...». والاعـترافُ بالأقانيـم الثلاثـة في الثالـوث الإلهـي موجـودٌ في قانـون الإيمـانِ هـذا الـذي وضعتـه الكنيسـةُ منـذ فجـرِ المسـيحية.

الإيمـانُ باللـه الآب مسـألةٌ أساسـية بالنسـبة للإيمـانِ المسـيحي. مـع ذلـك لم تكـن أبـوّة اللـه

مفهومةً دائمًا كما يجب. ففي القرن التاسع عشر، حاول البعضُ إعادةُ تعريف الكنيسة، لكي يختزلوها إلى مفهومِهم الخاص عن جوهرها. فاستنتَجوا أن المسيحيةَ تتألفُ من اعترافَين مركزيَّين: الأبوَّةُ العالميّة لله، والأخوَّةُ العالميّة للبشر. وهذه الفكرةُ لها علاقة بتكافلِ كلِّ البشر في ظلّ إله خيِّرٍ لا يعرف التمييز. لكن من وجهةِ النظر الكتابيّة، فإن هذا الاستنتاجَ يطرحُ إشكاليّة.

هناك تصريحٌ واحد يدعمُ هذه الفكرة. عندما كان الرسول بولس يجادلُ بعضَ الفلاسفة الإغريق في أريوس باغوس بأثينا، اقتبسَ من أحد فلاسفتِهم القول «كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضًا: لِأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ» (أعمال الرسل ١٧: ٢٨). ما كان يعنيهِ بولس هنا هو: لأن الله هو خالق كلِّ الشعوب، نستطيع أن

نقـولَ إنـه أبٌ لـكل البـشر. لكـن فكـرةَ أن كلِّ النـاس، حتـى الذيـن لا يؤمنـونَ بالمسـيح، يمكـن أن يعتـبروا اللـه أباهـم المحـب، لا نجدُهـا في أي مـكانٍ في الكتـاب المقـدس.

كذلـك فنحـن أيضًـا لا نجـدُ أخـوّةَ البـشر العالميّـةِ في الكتـاب المقـدّس، بـل يعلّمُنـا الكتـاب أننـا جميعًـا أقـارب. ومطلوبٌ منـا أن نحـبَّ قريبَنا مثـلَ أنفسـنا. مـن ناحيـةٍ أخـرى، الأخـوّة هـي نـوعٌ معـيّن مـن الشركـة البشريّـة. هـذه الشركـة لهـا جذورهـا في حقيقـة أن يسـوعَ هـو ابـن اللـه بمعنـى أن اللـه هـو أبـوه حقًـا. أمـا بالنسـبة لنـا نحـن البـشر، يصبـحُ اللـه أبًـا لنـا فقـط عندمـا يتبنّانـا في عائلـةِ اللـه. وهـذا يحـدث عندمـا نَقبَـلُ المسـيح كمخلّـصٍ لنـا بالإيمـان. بالطبيعـةِ نحـن غربـاء عـن اللـه وعائلتـهِ، لكـن يمكـن أن نتصالـحَ معـه في المسـيح.

فإذا أعلنّا أن كل البشر في العالمِ هم إخوة، وأن اللهَ أبٌ لكل الناس في العالم، فنحن نشوّه تلكَ العلاقةِ المميزة التي جعلها المسيح متاحةً للذين يؤمنونَ به. كان مقاومو يسوع يعتبرون إعلانَ شخصِ ما أن الله أبوه هو تصريحٌ خطير. في الواقع، عندما دعا يسوعُ اللهَ أبًا له، أرادوا أن يرجموه بتهمةِ التجديف (يوحنا ٥: ١٨).

في الصلاةِ الربانيّة، عندما علّمَ يسوعُ أتباعَه أن يصلّوا قائلين «أبانا»، كان يدعوهُم للاشتراكِ في العلاقةِ الحميمة التي يتمتعُ بها مع الآب. هذا مفهومٌ جديدٌ عظيم. مع ذلك أصبحت صلاة المسيحيين اليوم إلى الله باعتباره آبًا لهم مسألةً عاديةً حتى أننا أصبحنا نعتبرُ الأمرَ مفروغًا منه، وتفوتُنا دلالاتُه وامتيازُ أن نخاطبَ اللهَ على أنه أبٌ لنا.

إن افترضنا أن جوهرَ الديانةِ هو الأبوَّةُ العالميّةُ لله، والأخوَّةُ العالميّةُ للإنسان، فإن أهمية الدعوةُ لنقفَ في محضرِ الله ونخاطبُه «أيها الآب» تُفقدُ أيضًا. إذا كان الله أبٌ للجميع، فالعلاقةُ الحميمةُ التي نتمتَّعُ بها معه كونه أبٌ لنا تصبح مُبهمة. عندها يصبحُ الله إلهًا بعيدًا ومجهولاً. لكن المسيحيةَ تؤكدُ وجودَ إلهٍ شخصيٍّ يوجدُ بيننا وبينَه علاقةٌ شخصية. فنحن لا نُصعِد صلواتنا لإلهٍ غيرِ شخصيّ أو لإله بعيد، بل لإلهٍ حاضرٍ نعرفُه.

منذ نشأةِ الديانةِ اليهودية، اعتُبِرَ هذا الإله بأنه «الضابط الكل». فالله الخالق لم يَفدِ إسرائيلَ فقط، بل هو من خلقَ السماء والأرض. إذًا فنطاقُ سلطانهِ ليس فقط الحدودُ الجغرافيةُ لفلسطين، بل العالم كلِّه. إن التعبيرَ

«الضابـط الـكل» هـو مترسّـخ ومتأصـل في مفهـومِ اللـهِ الحاكـمِ الـذي يسـودُ عـلى كلِّ العـالم.

الفصل الرابع

شخص وعمل المسيح

(الجزء الأول)

وبربنا يسوع المسيح، ابنه الوحيد؛
الذي حُبِلَ به من الروح القدس،
ووُلِدَ من مريم العذراء...

كان الرجلُ الذي ندعوه يسوعَ المسيح معروفًا في أيامه كـ«يسوع بار (ابن) يوسف» أو «يسوع الناصري». لم يكن الناسُ في تلك الأيام يحملونَ اسمَ عائلة، لذا كان يُحدَّدُ

الشخصُ باسمِ والدِه أو باسمِ مسقَطِ رأسِهِ. و«المسيح» لم يكن اسمٌ بل لقب. لكن هذا اللقبَ مهمٌ ومركزيٌّ جدًا بالنسبةِ لما يعلّمُه العهدُ الجديد عن يسوع. حتى أن اللقب مع الوقت اقترنَ بالإسم. ونتيجةً لذلك، نظنُّ غالبًا أن لقبَ «المسيح» كان اسمَ عائلةِ يسوع.

يُركِّزُ الجزءُ الأكبر من قانونِ إيمانِ الرسل على شخصِ وعمل المسيح. ويبدأُ باستعمال لقبٍ مهم للغاية. عندما دعَتِ الكنيسة الأولى يسوعَ «المسيح»، كانت تكرِّرُ اعترافَ الرسول بطرس «أنت المسيحُ ابنُ اللهِ الحي». تأتي الكلمة «مسيح» في العهدِ الجديد من الكلمة اليونانية «خريستوس»، المترجمة من الكلمة العبرية «ماشياح» أو «مسيّا». وكلتا الكلمتين - «المسيح» و«المسيا» - تعنيان «الممسوح»، وهي إشارةٌ إلى الشخصِ الذي كان يكرَّسُ

لمقاصدِ الله. وفي العهد القديم أصبح التعبير «مسيّا» يشير إلى المخلّص محطَ أمال الشعب في أن يحرّرهم.

إذًا عندما يقولُ المسيحيون إنهم يؤمنونَ بيسوعَ المسيح، فإنهم يعترفونَ أن يسوعَ هو المسيّا الذي طالَ انتظارُه. هذا هو محورُ إعلانِ العهد الجديدِ عن يسوع: إنه المسيح.

يوجد في العهد القديم خطوط مختلفة من التوقّعات عن المسيّا. ومنهم التوقّع بأن شخصًا مثل موسى، القائدُ النموذجيّ، سيُخلّص شعبَهُ ويُصبح وسيطَ عهدٍ جديد. تنبأ النبي إشعياء عن شخصٍ سيكونُ عبدَ إسرائيلَ المتألم وخادمُ الرب الذي سيحملُ خطايا الشعب. كان هناك توقّعًا أخر بأن المسيّا سيأتي من النسلِ الملكيِّ المتحدّرِ من الملك داود. كما وعدت الكتابات

الرؤيويّة في العهد القديم، وبالتحديد سفر دانيال، بأن كائنًا سماويًا سيُرسَلُ ليحُكمَ العالم.

من المنطقيِّ أن نتساءلَ، بعد معرفة كلِّ تلك النواحي المختلفة عن المسيّا، كيف يمكن أن تتوفّرَ كلّها في شخصٍ واحد. لكن يتّضِحُ لنا في العهدِ الجديد أن كل خط من تلك النبوّات قد تحقّق بالفعل في حياةِ يسوع المسيح وأعماله. لقد أتى ومارس دور الأنبياء؛ وتمّمَ دور الملك؛ وخدم كرئيس الكهنة العظيم، وهو الذي حمل خطايا شعبه لكونه العبد المتألّم.

يؤكّد قانونُ إيمانِ الرسل أن يسوعَ هو من فئةٍ مختلفةٍ كليًا. عندما كسر رودجير بانيستر رقمَ الميل الواحد في أربعِ دقائق، كان الإنسانَ الأولَ في تاريخ البشرية الذي ينهي سباق الميل في أقل من أربع دقائق. ولفترةٍ معينة اعتُبرَ

بانيتسر فريدًا، لأنه كان قد فعل شيئًا لم يفعلْه ولم يحقِّقهُ إنسانٌ من قبل. لكن منذ ذلك الحين، كرّرَ كثيرون من العدّائين عملَهُ البطوليّ هذا؛ رغم أنه أنجزَ شيئًا لم يستطيعوا هم إنجازه، أي كونه أول شخصٍ يكسِرُ هذا الرقمَ القياسي. يدعى يسوعُ إبنَ الآب الوحيد؛ إنه في مرتبةٍ مُستقلةٍ عن الآخرين إذ لا يشابهَهُ أحد. صحيح أن المسيحيين يُدعَونَ أبناءَ الله، لكن فقط لأن الله تبنّاهم من خلال يسوع المسيح. إذًا فيسوعُ فريدٌ لأنه ابن الله بالطبيعة.

يدعى يسوعُ أيضًا «ربّنا». تذكّر أن اعترافَ الإيمانِ الأول للكنيسة كان هذا الإعلان البسيط: «يسوعُ هو ربٌّ». والكلمة «ربّ» المستخدمة في العهد الجديد مليئة بالمعاني، وهي ترجمةُ الكلمة التي كان اليهودُ يستعملونَها حصريًا عن الله الآب، لأنهم كانوا يتجنّبونَ لفظَ اسمِ

اللـه حتـى لا يقعـوا في التجديـف. ولهـذا كانـوا يَدعـون اللـه «الـربّ». فالكنيسـةُ الأولى، عندمـا دعـت يسـوع «الـرب»، نَسـبَت لـه الألوهيّـة لأنهـا كانـت تعـرفُ أنـه الـذي خلـق السـماء والأرض والـذي يسـودُ عـلى كل الخليقـة. كانـت تلـك التسـميةُ لقبًـا ملكيًـا. الـرب هـو السـيّد، والسـيادةُ بالمعنـى المُطلَـق محصـورةٌ عـلى اللـه.

بعـد هـذا الاعـترافِ القصـير بالألقـاب المختصة بالمسـيح، يوجِـزُ قانـونُ إيمـان الرسـل الخطـوط العريضـة لحياتـه. وهـذه مسـألة مهمـة لأن هويـةَ المسـيحِ أثنـاء حياتِـه عـلى الأرض تحـدّدُ طبيعـة عملـه. يبـدأ قانـونُ الإيمـان بتأكيـدِ ولادتِـه مـن عـذراء. فمـن الأيـام الأولى لتاريـخِ الكنيسـة، كان تأكيـدُ ولادة يسـوع مـن عـذراء مركزيًـا في إقرارات إيمـان الكنيسـة. هـذا التأكيـدُ ضروري، ليـس فقـط لأن نزاهـةَ شـهادات الرسـل كانـت عـلى المحـك

— إذ أنهم أيّدوا الولادة العذراوية — بل أيضًا كان يجب أن يُولدَ يسوعُ من عذراء لكي يتمّمَ العملَ الذي أرسلَه الله ليعملَه.

تعني ولادتُه من عذراء أن يسوعَ وُلِد غيرَ مدنّسٍ بالخطية الأصليّة. فهو لم يرثِ الدَّنَسَ الذي نرثُه نحن جميعًا لأننا من نسل آدم. هذا الدنسُ يُمرَّرُ إلينا عبرَ التوالدِ الطبيعيّ، وهكذا وُلدَ الجميعُ بطبيعةٍ بشريةٍ ساقطة. أما يسوع، ولأنه حُبِلَ به بشكلٍ معجزيّ في رحم مريم، فقد تجنّبَ هذا. كان يسوعُ وما يزالُ بلا خطية، ليس فقط فيما يتعلّق بالخطية الفعليّة، بل فيما يتعلّق بالخطيةِ الأصليّة أيضًا.

إن مفهومَ الكنيسةِ عن شخص المسيحِ هو أن يسوعَ شخصٌ واحدٌ بطبيعتين: طبيعة بشريّة وطبيعة إلهيّة. وسرُّ التجسّدِ لا يعني أن

الله توقّفَ عن كونه الله وأصبح إنسانًا، ولا أن إنسانًا أصبح إلهًا فجأة. بل سرُّ التجسّد يعني أن الأقنوم الثاني من الأقانيم الثلاثة — أي الابن الأزلي لله — دون أن يفقِد شيئًا من طبيعتِه الإلهيّة، اتّخذ الطبيعة البشريّة. لقد أخذَ هذه الطبيعة البشريّة من مريم. لذلك فهو شخص واحد بطبيعتين؛ إنه الله حقًا وإنسان حقًا.

الفصل الخامس

شخص وعمل المسيح

(الجزء الثاني)

أؤمنُ... بيسوع المسيح...
الذي... تألّمَ في عهدِ بيلاطس الْبُنْطِيّ،
وصُلِبَ وماتَ ودُفِنَ؛
ونزلَ إلى الهاوية.
وقامَ أيضًا في اليوم الثالث من بين الأموات؛
وصعِدَ إلى السماء؛
وهو جالس عن يمين الله الآب الضابط الكل؛
و سيأتي من هنالك ليدينَ الأحياءَ والأموات.

عند هـذه المرحلـة، ينتقـل قانـونُ الإيمـان بسرعـة مـن الاعـترافِ بـولادةِ يسـوعَ إلى عذابـه، أي آلامـهِ عـلى الصليـب. وقـد يبـدو هـذا انتقـالاً مفاجئًـا، وكأن شـيئًا لم يحـدثْ مـا بـين ولادتِـه وموتِـه. ويبـدو مفاجئًـا بشـكلٍ خـاص عندمـا نـدركُ أن العهـدَ الجديـد والكنيسـةِ الأولى اهتـمّا اهتمامًـا كبـيرًا بحيـاة يسـوع. ففداؤُنـا لم يكـن نتيجـةَ مـوت يسـوعَ فقـط، بـل أيضًـا نتيجـة حيـاةِ الطاعـةِ الكاملـة التـي عاشَـها. كان ذلـك ضروريًـا لجعلِـه ذبيحـةً كاملـةً عـن خطايـا شـعبِه عـلى الصليـب. ومـع ذلـك ينتقـلُ قانـون الإيمـانِ مبـاشرةً مـن ولادتـه إلى آلامـه.

مـن المهـم أن نلاحـظَ أن الكنيسـة الأولى لم تعتـبر آلامَ المسـيح مسـألةً سـلبية، بـل جـزءًا مـن أخبـارِ الإنجيـل المُفرحـة. وإلا لمـاذا ندعـو اليـومَ الـذي نتذكّـرُ فيـه صلـبَ المسـيح «يـوم الجمعـة

العظيمة»[١]؟ صحيحٌ أن ذلك اليومَ هو اليوم الأشدُّ ظلامًا في تاريخِ العالم، لكنه من ناحية أخرى هو يومُ الفداء. إذا فقانونُ الإيمانِ يشيرُ بمعنى ما إلى أمرٍ مُفرح، ألا وهو العلاقة بين ولادتِه وموتِه. لقد وُلدَ المسيحُ لكي يموت، ليس كبطلٍ تراجيديّ أو كمن يتحرّر من خيبات أمله، ولا كشخص استسلَم لعذابٍ لا مفرّ منه. على العكس من كل ذلك، كان موتُ يسوعَ مصيره لصالحنا نحن ومن أجل فدائنا.

وما يبدو غريبًا أيضًا هو الجملة «في عهدِ بيلاطسَ الْبُنْطِيِّ». لماذا ذُكرَ بيلاطسُ الْبُنْطِيُّ بالتحديد من بين كلِّ الشخصياتِ المُهمّة في حياةِ يسوع، مع أن قانونَ إيمانِ الرُّسل مُختَصَرٌ جدًا؟ لقد تورطَ أشخاصٌ كثيرون في موت

---

[١] يُدعى يوم الجمعة العظيمة بالإنجليزية The Good Friday، أي يوم الجمعة الجيّد أو الطيّب

يسوع مثال يهوذا التلميذ الذي خانه؛ قيافا أحد القادة اليهود المتآمرين ضدّه؛ هيرودس الملك اليهودي الذي حكمَ المنطقة واشتركَ في محاكمةِ يسوع. فلماذا ذُكرَ بيلاطس البنطيَ الحاكم الروماني المُبهم دون سواه؟

أحد الأجوبة على هذا السؤال هو أن قانون الإيمان بقوله «تألّمَ في عهدِ بيلاطسَ الْبُنْطِيُّ»، يضعُ آلامَ يسوع بشكل علنيٍّ على مسرح التاريخ العالمي. كان يسوعُ إنسانًا حقيقيًا؛ لقد عاشَ في مكانٍ وزمانٍ محدّدَين وتعامل مع أناسٍ حقيقيين. وبذِكرِ بيلاطسَ، يرسّخُ قانونُ الإيمانِ قصةَ يسوعَ في صُلب التاريخ.

الجوابُ الآخر له علاقةٌ بتحكّمِ الله بالأحداث التي تجري على الأرض. فآلامُ وموت يسوع ليسا حادثَين عَرَضِيَّين. لأن كلَّ ذلك كان

جُـزءًا مـن مقاصـدِ اللـهِ لفـداء شـعبه. لقـد تمّـمَ اللـه مقاصـدَه حتـى مـن خـلال النوايـا الشريـرة لأنـاسِ السـوء. وانتصـارُ سـيادةِ اللـهِ عـلى القـوى السياسـيَّةِ البشريّـة مشـارٌ إليـه في ذكـرِ بيلاطـس الْبُنْطِـيّ هنـا.

لكـن هنـاك أيضًـا مسـألةٌ أخـرى أكـثر أهميـة. لقـد تنبـأ العهـدُ القديـم أن المسـيحَ سيُسـلّم إلى الأمـم، (أي غـير اليهـود)، ليحكمـوا عليـه. فاليهـودُ لم يقتلـوا المسـيحَ بـل اخـذوه إلى الرومـان الذيـن حاولـوا إعادتَـهُ إليهـم: لقـد أعـادَه بيلاطـسُ إلى هـيرودس، فأرسـله هـيرودس إلى بيلاطـس مـن جديـد، وهكـذا أتى الحكـمُ النهـائيّ مـن الأمـم. حتـى إن طريقـةَ إعدامِـه لم تكـن يهوديـةً لأنـه صُلِـب. والصلـبُ طريقـةُ إعـدامٍ عُـرِفَ بهـا الرومـان. أمـا الطريقـةُ اليهوديّـة لتنفيـذ عقوبـةِ الإعـدام فكانـت الرَّجـم.

يُظهِرُ بولسُ الرسول في رسالة غلاطية الكثيرَ مما يعنيه موتُ يسوع. فيذكّرُنا بأنه ضمن شريعةِ العهد القديم هناك شعائرُ عن التطهير وشعائرُ عن النجاسة. والذين التزموا بالشريعة كانوا مبارَكين، أما الذين نَقَضوا الشريعةَ فكانوا ملعونِين. وكونُ الإنسانِ ملعونًا يعني أنه أُبعِدَ عن محضرِ الله.

يذكر سفرُ التثنية في العهد القديم أنه «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَة» (غلاطية ٣: ١٣؛ انظر تثنية ٢١: ٢٣). وفي رسالةِ غلاطية يركّز بولس على حقيقةِ أن الطريقةَ التي ماتَ بها يسوع كانت الصلب. وكانت هذه الطريقة تحت اللعنة في شريعة العهد القديم لأن الصليب، أي أن يُعلّق المحكوم عليه على خشبة، هو طريقةُ موتٍ أُمَمية. وكونُهُ تحمّلَ طريقةَ الموتِ الأُمَمِيَّةِ هذه، فهذا يعني أن يسوعَ قد

احتملَ اللعنةَ من أجلنا. لقد أُبعِدَ عن محضرِ الله، وأُعدِمَ خارج أسوارِ أورشليم، متروكًا للأمم.

ذكرُ دفنِ يسوع هو أيضًا إشارةٌ إلى نبوةٍ في العهد القديم. لقد تنبأَ النبي إشعياء بآلام المسيحِ وبدفنِه قائلاً: «وَجُعِلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ» (إشعياء ٥٣: ٩). تم إعدامُ يسوعَ بين لصّين. أما بعد موتِهِ، فبدل أن يُرمى جسدُه على كومةِ النفاياتِ ويُحرَقَ بالنار (وفق العادة الرومانيّة)، سَمَحَ بيلاطس ليسوعَ بدفنٍ يهوديٍّ لائقٍ في قبرٍ مستعار يملكه رجلٌ غني يدعى يوسف الرامي. هذه الأحداث تمّمَت نبوة إشعياء عن موتِ المسيحِ ودفنِهِ.

لطالما سبّبت الجملةُ التالية، «نزلَ إلى الهاوية»، الكثيرَ من الإرباكِ عبرَ تاريخِ الكنيسة.

يقولُ البعضُ إنها تتحدّثُ عن المكانِ الذي مكثت فيه روحُ يسوعَ في الفترةِ المؤقّتةِ ما بين دفنه وقيامته. لكن القراءةَ الأفضل لهذه الجملة هي باعتبارِها إشارة إلى البُعْدِ الروحيّ لما اختبرَه يسوعُ على الصليب. مما يعني أن يسوعَ، وهو يدفع ثمن الخطايا عن شعبه، قد تحمّل الهاوية على الصليب. لأنه على الصليب اختبرَ يسوعُ اللعنة. هناك تركَهُ الآبُ وانسكبَ عليه كلُّ الغضبِ الإلهيّ الرهيب.

أخيرًا، ينتقل قانونُ الإيمانِ إلى القيامة. كان قانونُ إيمان الكنيسةِ الأول هو «يسوعُ هو ربّ»، لكن بشارة «الإنجيل» الأولى كانت ببساطة «قام المسيح!». فلا يُمكن تصوّر وفَهمُ المسيحيةَ بعيدًا عن قيامةِ المسيح. فالقيامةُ مُهمَّةٌ جدًا لدرجةِ أن الرسولَ بولس خصّصَ إصحاحًا كاملاً في رسالته الأولى إلى أهل

كورنثوس، لحَسمِ الجدَلِ بأنّ المسيحَ قامَ من الأموات (١ كورنثوس ١٥). فقد قدّم لنا حجّة مفصّلة مؤسّسةً على إتمام النبوات وعلى شهادة شهودِ العَيان أي الرسل مع أكثر من خمسمئة شخص، ومؤسسة أيضًا على اختباره هو عندما شاهدَهُ بعينيه.

القيامة حدثٌ مهمٌ للغاية. يقولُ بولس لو أن يسوعَ ما زال ميتًا، أي لو أنه لم يَقُم، لكنّا ما زلنا في خطايانا، ملزَمين بتسديدِ حسابٍ عن ذنوبنا، كما أن إيمانَنا لا نفعَ منه. بحسب الرسول بولس، عندما نُلغي القيامة فنحن نلغي معها المسيحية. إذا لم يَقُم المسيح فنحن إذًا بلا رجاء، والأفضل لنا أن نبدِّدَ حياتَنا. تمدُّنا القيامة بالرجاء لأنها تعني أن اللهَ الآب قَبِلَ ذبيحةَ يسوع. كما تعني أن الخلاصَ وغفرانَ خطايانا مُتاحان من خلالِ المسيح.

القيامةُ مهمةٌ أيضًا لأنه بها تمَّتْ هزيمةُ أكبر عدوّ للإنسان، أي الموت. فالقيامةُ ليست حدثًا معزولاً استفادَ منه يسوعُ وحده. يعلنُ العهدُ الجديد أن قيامتَه هي باكورةٌ لقياماتٍ أُخَر كثيرة. لأن كلَّ من يضعُ ثقتَه بالمسيح له الوعدَ أنه سيشتركُ في قيامةِ يسوع. بفضلِ القيامةِ هناك رجاءٌ بحياةٍ جديدة.

لم يقُمْ يسوعُ من الموت لكي يستطيعَ أن يُكمل خدمتَه لخمسينَ سنةٍ تالية. يؤكّد قانونُ الإيمان أنه «صَعِدَ إلى السماء». كان صعودُ يسوع إلى السماء أحدَ أهمِّ اللحظات في تاريخِ الفداء. بصعودِ المسيح تمّ تتويجُ القائمِ من الأموات كملكِ الملوكِ وربِّ الأرباب. هذا يعني أنه في هذه اللحظة بالذات جلس المسيحُ في أعلى مراكز السلطة على الإطلاق.

أحدُ الأسبابِ التي مكّنتِ المسيحيِّين الأوائل من قلبِ العالمِ رأسًا على عقب هي أنهم عرفوا من هو الشخصُ المتحكّم بكل شيء. كانوا يعرفون من هو الملكُ الحقيقيُّ المُطلق. بعد أن شاهد التلاميذ يسوعَ صاعدًا إلى السماء، عادوا إلى أورشليم فرحين. والطريقةُ الوحيدةُ التي مكَّنتهم من أن يفرحوا، هي معرفتُهم بالمكانِ الذي ذهب إليه وما الذي سيحدث تاليًا. لم ينطلق يسوعُ إلى مكان بعيدٍ بل إلى عرشِ السلطان. لهذا يلي قانونُ الصعود ما يسمّى بـ «الجُلوس»: يسوعُ جالسٌ عن يمين اللهِ في موقعِ القوةِ والسلطان يحكُمُ كملك.

وليس هذا فقط، بل إن يسوع قد دخل إلى قدسِ الأقداسِ السماوي. وهو يَكْهَنُ هناك كرئيس كهنةٍ عن شعبِهِ. كان لليهودِ في إسرائيل العهد القديم رئيسُ كهنةٍ بشري. وكان عليه

أن يَطبّقَ شعائرَ التطهيرِ الأساسية لكي يدخلَ يومًا في السنة إلى قدس الأقداس ويقدّمَ ذبيحةً مقبولةً إلى السنةِ المقبلة. لكن لدى المسيحيينَ رئيسُ كهنةٍ كامل، يشفعُ لدى الآبِ في الأقداسِ الداخليةِ للحضرةِ السماويةِ كلَّ دقيقةٍ من كل يوم. فلا إذًا عجبَ أن التلاميذ ابتهجوا!

من ثم يُنهي قانونٌ الإيمان الاعترافاتِ المتعلّقة بالمسيح ذاكرًا أن هذه ليست نهايةَ القصة، لأنه سيعودُ ثانية من المكان الذي ذهبَ إليه. سيأتي من هنالك ليدينَ الأحياءَ والأموات. ومن وضعَ ثقته بالمسيحِ سيتبرّر. وكلُّ أعدائه وأعداءِ شعبه سيكونونَ تحت القصاص. المسيح هو الملك، هو الكاهن، وهو ديّانُ العالم.

الفصل السادس

الروح القدس والكنيسة

أؤمنُ بالروحِ القدس؛
وبالكنيسةِ المقدّسة الجامعة؛
وبشَرِكةِ القدّيسين...

قانونُ إيمانِ الرسل هو إعلان ثالوثٍ ذاتيّ الوعي؛ بمعنى أن فيه إدراكًا واضحًا بأن اللهَ ثلاثةُ أقانيم: الآب والابن والروح القدس. يظن البعضُ أن مفهومَ الأقانيمِ الثلاثة لم يتطوّرَ بالكامل إلا في القرنِ الرابع

الميلادي. لكن الإيمانَ باللهِ الثلاثيّ الأقانيم كان مؤكّدًا بوضوح منذ البداية. بعد أن أكّد على الإيمان باللهِ الآب وبيسوع المسيح، يُكمّل قانونُ إيمان الرسل الاعترافَ بالثالوث بهذا التصريح المختصر «أؤمنُ بالروحِ القدس».

من أهم الأمور التي يجب أن ندركَها هي أن الروحَ القدس هو شخصٌ وليس مجرد طاقة أو قوة غير شخصية. بتعبير آخر، إن الروح القدس هو «الشخص» وليس «الشيء». ولأن لديه شخصية، يمكن للواحدِ منا أن يكون له علاقةً معه، تمامًا كما يمكنُ لكلِّ واحدٍ منا أن يكونَ على علاقةٍ بشخصٍ آخر.

كونُه الأقنومُ الثالث في الثالوث الإلهي، اشتركَ الروحُ في عمليّةِ الخلق. لكن ربما يُعرفُ الروح القدس أكثر بدورِ الوحي. يُعرِّف

الكتابُ المقدّس الروحَ القدس بأنه روحُ الحق. إنه الروحُ الذي حلّ على الأنبياء ومكّنهم أن ينطِقوا بالحق الإلهي. والروح القدس أيضًا هو الذي أوحى بالأسفار المقدّسة وأشرفَ على تدوينها.

تبدأ الحياةُ المسيحية بعملِ الروح القدس. فالروح هو الذي يغيّرُ القلب، ويجعلُ الأرواحَ الميتةَ تحيا له. وهذا يُدعى «الولادة الثانية». تبدأ الحياةُ المسيحيّة بقوةِ الروح، ويحدثُ النموُّ في مسيرةِ الحياةِ المسيحيّة بقوةِ الروح أيضًا. إن مسار النموِّ بالنعمةِ هذا، نحو النضوج الروحي، يدعى «التقديس». بالتقديسِ يُظهر المسيحيون ما يسمّيه العهد الجديد «ثمار الروح»: «مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلَامٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلَاحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ» (غلاطية ٥: ٢٢).

لكن هناك بُعدٌ لعملِ الروح يستحقّ أن نعطيَه اهتمامًا أكثر. عندما يتحدّثُ يسوع إلى تلاميذه في العهد الجديد عن حلول الروح (يوحنا ١٤ - ١٧)، فهو يدعو هذا الروح «المعزّي». لكن العهدَ الجديد لا يقول عن الروح إنه المعزّي فقط، بل هو أيضًا المعزّي الآخر. وتُترجم الكلمة اليونانيّة المعنية هنا «المعزّي»، وأحيانًا «المشير». إذا، عندما يقولُ يسوع «سأرسلُ لكم معزّيًا آخر»، فمن يكونُ المعزي الأصلي؟ والجواب إنه يسوعُ نفسُه. بعد صعودِ يسوع سيرسلُ معزّيًا آخرَ، أي الروح القدس، الذي عَمَلُهُ أن يكونَ الحضورَ المستمرّ ليسوعَ في حياةِ المؤمنين.

يعني «المعزّي» أو «المعين» من يجلسُ معَكَ ويتعاطفُ برقّةٍ مع ألمِك وحزنِك. من المؤكّد أن أحدَ أعمالِ الروحِ القدس هو أن

يعزّيَنا في أحزاننا في أوقاتِ الأزماتِ والمأسي. لكن ليس هذا ما يعنيه يسوعُ بهذا اللقب. فالكلمة اليونانيّة التي استخدمها هنا كانت تستعملُ كلقبِ المحامي المدافع عمّن يمرُّ في وقتِ الضيق. أرسلَ يسوع الروحَ لأنه الشخصُ الذي يقفُ مع المؤمنين في وسطِ المعاركِ والأزمات والصراعات. إنه المعزّي التي يأتي بقوة والذي يقوّينا. وعَدَ يسوعُ بأن يكون الروحُ القدس حليفَنا، لكي يقفَ معنا ويشجّعَنا.

عندما يعملُ الروحُ في حياةِ المؤمنين، فهو يقودُهم دائمًا نحو الجماعة. يسمّي العهدُ الجديدُ المؤمنين، «القدّيسين». وهذه الكلمة مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بالقداسة، مما يعني أن المؤمنين مُفرَزين من أجل هدفٍ خاص. فهم لا يُدعَون «قدّيسين» لأنهم أطهارٌ وأبرارٌ، ولا هم قدّيسون بالمعنى الذي يُقصد به قداسةُ

الله. بل لأن الروحَ القدس يسكنُ فيهم وقد أفرزَهم وكرَّسَهم وجمَعَهم معًا في جسد واحد. بهذا المعنى لا تشيرُ التسمية «قديسين» إلى الأفراد الذين يفُوقونَ الآخرينَ قداسةً أو في أي شيء آخر؛ ولا حتى الذين يصنعون المُعجزات. فبحسبِ العهدِ الجديد، كلُّ المؤمنينَ هم قدّيسون لأن الروحَ القدس يسكنُ فيهم جميعًا، وهو الذي يجعلُهم قدّيسين.

الفداءُ مسألةٌ شخصية. فنحن أعضاءٌ أفراد ننتسب إلى أنماطٍ مختلفة من المجموعات. لكن في نهاية الأمر، عندما سأقفُ أمام الله فسأقفُ هناك لوحدي. إنه إيماني أنا، وأنا من يجبُ أن يؤمنَ ويثقَ بيسوعَ المسيح. لكن بالرغمِ من أن هناك مفهومًا قويًا فرديًا عن الفداء، لا تعلّمَ المسيحيّة عقيدة الفرديّة. لأن المؤمنين الأفراد مدعوونَ لينضمّوا إلى شركةِ الإيمانِ التي

ندعوها الكنيسة. يؤكّد إقرار الإيمان هذا الأمر بعبارة الكنيسة المقدّسة الجامعة. والكنيسةُ بهذا المعنى لا يُقصد بها طائفةٌ معينة أو كنيسةٌ محليّة، بل جماعة المؤمنين الذين تضمّهم كلَّهم أينما وجدوا.

إذا كان هناك من مؤسسة في أيامنا هذه لا تبدو دائمًا مقدسة، فهي مؤسسة الكنيسة. الكنيسة هي مؤسسةٌ فاسدة، لكنها أهمُّ مؤسسةٍ في العالم. وقِوَى الجحيمِ تعرفُ ذلك، لذا فكنيسةُ يسوع المسيح هي الهدف الأول والأهم للهجماتِ الروحيّة الشريرة. لكنها المؤسسةُ الوحيدةُ التي تحظى بضمانةٍ من المسيح. لا يَظهرُ أعضاءُ الكنائسِ قدّيسينَ دائمًا، لكن الكنيسةَ هي في الواقع منظّمةٌ موضوعةٌ لخيرِ الخطاة.

بالرغم من عدم قداسةِ أعضائها، إلا أن الكنيسةَ مقدّسةٌ بفضلِ رأسها يسوعُ المسيح. لأنه هو الذي قالَ «أَبْني كَنِيسَتِي» (متى ١٦: ١٨). إذًا فالكنيسة موجودةٌ لأن المسيحَ هو الذي دعاها، ولأن المسيحَ هو من أسّسَها وعيّنها، ولأن الروحَ القدس هو هبتُها وهو الساكنُ فيها، ولأننا ننال بركات قداسة الكنيسة. فالقداسةُ التي هي من نصيبنا نستطيع أن نحظى بها بفضلِ القوتين اللتَين تشدّان أواصرَ الكنيسةِ معًا منذ البداية؛ أي يسوع المسيح والروح القدس. لقد عيّن المسيحُ كلَّ مؤمن ودعاه لكي ينضمّ إلى كنيستِه، طالبًا منا أن لا نتركَ اجتماعَ القدّيسين. فبالنسبة للإيمان المسيحي لا أحدَ معزولٌ بمفردِه على جزيرة؛ بل كلُّنا علينا واجبٌ وامتيازُ أن نشتركَ في الكنيسة.

يعلنُ قانونُ الإيمان إيمانًا «بالكنيسةِ المقدّسة الجامعة (الكاثوليكيّة)». والكلمة المستعملة هنا، أي «كاثوليكيّة»، لا تعني الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة. فالكلمة **كاثوليكي** تعني ببساطة «عالمي»، ويُقصدُ بها أن الكنيسةَ موجودةٌ حيثما يوجد شعبُ الله. وما زالَ البروتستانت يتمكسَّون بالاعتراف بقانونِ إيمان الرسل هذا، في حين أنهم لا يعتنقون إيمان الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة، لأننا بالتأكيد نؤمنُ أن هناك جسدًا عالميًا للمسيح، والذي هو أشملُ وأعمق وأوسع من الطوائف والكنائس المحلية التي نكون أعضاءَ فيها.

«شركةُ القدّيسين» هي طريقةٌ أخرى لوصفِ الكنيسة الجامِعة العالمية. وهي ليست إشارةً إلى فريضةِ العشاءِ الربانيّ أو الأفخارستيا،

والتـي تدعـى أحيانًـا «الشركـة». ففـي قانـون الإيمـان تعنـي «شركـة القدّيسـين» أن هنـاك شركـةَ إخـوةٍ مرتبطـين معًـا بالـروح القـدس تتألّـف مـن كلِّ المؤمنـين في العـالم. تتخطّـى هـذه الشركـة حـدود الطوائـف والجغرافيـا والروابـطَ العرقيّـة، كـما تتخطّـى الروابـطَ الزمنيّـة الآنيـة.

هـذا يعنـي أن المؤمنـينَ اليـوم هـم بطريقـة مـا في شركـةٍ مـع الذيـن آمنـوا قبلَهـم منـذ سـنوات بـل وقـرون مضـت. المؤمنـون هـم بالفعـل في شركـةٍ مـع كلِّ مؤمـنٍ قـد عـاش يومًا، لأن كلَّ مؤمـنٍ قـد اتّحـدَ مـع المسـيحِ بالإيمـان؛ وهـذا الاتحـاد لا يُمكـنُ إبطالُـه، لا بالوقـت ولا بالمـوت. وبفضـلِ هـذا الاتحـاد، يتّحـدُ كلُّ مؤمـنٍ بشـكل عجيـبٍ مـع كلِّ مؤمـنٍ آخـر هـو في اتحـادٍ مـع المسـيح.

الفصل السابع

الغفران، القيامة والحياة الأبدية

أؤمنُ... بمغفرةِ الخطايا؛
وبقيامةِ الأجساد؛
وبالحياةِ الأبدية، آمين.

لطالما اشتركتُ في كثير من النقاشاتٍ مع غير مسيحيينَ حيث أقوم بالدفاعيّات، وسمعتُ آخرينَ يصرّحونَ بأنهم لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيسوع. ومع أن هناك

حُججًا فلسفيةً معقّدة يمكنُ استعمالُها، لكن واحدةً من استراتيجياتي في النقاش هي أن أسألَ سؤالاً بسيطًا: «ماذا ستفعلُ حيال ذنبك؟»

ولم يسبِقْ أن نَظَرَ أحدٌ في عينيَّ وقال «أنا لستُ مذنبًا في شيء». الكلُّ مذنبون والكلُّ يعرفونَ ما هو الذنب. فالذنبُ أمرٌ حقيقيٌّ وواقعي. يجبُ أن نُميّزَ بين مشاعرِ الذنبِ وحالةِ الذنبِ الواقعيّة؛ فنحن أحيانًا نخلطُ بينهما. يقول الناس أحيانًا إنهم لا يشعرونَ بالذنب، وهم يعنون بذلك أنهم غيرُ مذنبين. أما في محكمةِ العدالة، فمن يدافعُ عن المجرم لن يجنيَ شيئًا إذا كان دفاعُهُ الوحيد هو أن المتهمَ لا يشعرُ بالذنب. فالذنبُ هو مسألةٌ واقعيّة مرتبطة بالمعاييرِ وبالشريعة. عندما نتعدَّى على شريعةِ الله نرتكبُ الذنب. وهذا الأمر هو بمثابةِ مشكلة للجميع.

يعلّمُنا الكتابُ المقدّس أن كلَّ إنسانٍ سيقفُ ليعطيَ حسابًا أمامَ اللهِ عن حياتِه. لا يمكنك أن تفهم عظات يسوعَ وتعاليمه فهمًا تامًا، إذا كان مفهومُ الدينونةِ المحوريِّ هذا مُبهمًا بالنسبة لك. إن ظهورَ يسوع، الله المتجسّد، على الأرض في حد ذاته قد جَلَبَ على العالم أزمة الدينونة؛ وهو أنذرَ الناسَ مرارًا وتكرارًا أن يكونوا مستعدينَ للدينونةِ في اليوم الأخير. «مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟... فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ؟» (متى ١٦: ٢٦-٢٧).

استعملَ يسوعُ تعابيرَ صعبة ليصِفَ الدينونة النهائيّة، وأكّدَ أن الأشياءَ التي نفعلُها في السرّ سوف تُظهَرُ إلى العلن، وأن كلَّ كلمةٍ غيرِ مسؤولة نتفوّهُ بها سيتمُّ إدانتها

(متى ١٢: ٣٦). والفكرة هنا هي أننا سنواجهُ حسابًا عن كلِّ ما نقولُه ونفكّرُ به ونفعلُه. يمكننا أن نُنكرَ هذا وأن نتجاهله، لكننا لا نستطيعُ أن نهرُبَ منه.

إن فكرة أن كلَّ إنسانٍ مسؤولٌ عن أعماله، وأنه سيؤدي حسابًا أمامَ خالقِهِ عما فعله في الحياة، هي فكرة أساسيَّةٌ في تعليمِ الكتابِ المقدس. قال الملكُ داود «إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الْآثَامَ يَارَبُّ، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟» (مزمور ١٣٠: ٣). وهذا سؤال بلاغيّ جوابُه بديهي. إذا احتفظَ اللهُ بسجلٍّ عن آثامنا فلن يقفَ أحدُ أمامَهُ بلا لوم. إذا كان اللهُ سيحاكمُني بمعاييرِ شريعتِهِ وبرِّهِ وقداستِهِ، وبالمعيارِ الخالص للعدالةِ، فسوف أهلِكُ لا محالة.

في الواقع، عندما يتحدّثُ العهدُ الجديد

عـن الدينونـةِ الأخـيرة، يصـفُ ردّةُ فعـلِ النـاس دائمًـا بالطريقـة عينهـا: الصمـت. عندمـا يَتَّهـمُ شـخصٌ شـخصًا أخـر، حتـى بمسـألةٍ هـو مذنـبٌ فيهـا، تكـون عـادةً ردّةُ الفِعـلِ البشريَـةِ الاحتجـاجَ أو الدفـاعَ عـن النفـس. فنحـن نقـدّمُ الأعـذارَ ونحـاولُ أن نـشرحَ لمـاذا فعلنـا ذلـك أو نحـاولُ أن نُقلّـصَ مـن فداحـةِ مـا فعلنـا مهـما كان. لكـن عندمـا نقـفُ أمـام اللـه، سـنخضع للمـرة الأولى لتقييـمٍ شـاملٍ صحيـحٍ عـن أَدائنـا في الحيـاة. وسـيكونُ الاحتجـاجُ عمـلاً غبيًـا لا نفـعَ منـه بتاتًـا، لأن الإثبـاتَ سـيكونُ قويًـا لدرجـةِ أن الكلـماتِ تصبـحُ غـيرَ صالحـةٍ للاسـتعمالِ في الدفـاع.

بسـببِ حمـلِ الذنـبِ هـذا، نحـن بحاجـةٍ ماسـةٍ إلى شيءٍ وحيـد، ألا وهـو الغفـران. والخـبرُ السـارُّ هـو أن المسـيحَ جعلَـهُ مُتاحًـا لـكلِّ مـن انتهـكَ معايـيرَ بـرِّ اللـه، حتـى يسـتعيدَ علاقـةَ

البر مع الله — أي أن يتصالحَ مع الله ويتبرّر. وهذا يصيرُ من خلالِ مغفرة الخطايا.

يؤمن المسيحيون أنهم عندما يتقدمون إلى الله معترفين بخطاياهم، فهو يغفرُ لهم. هذا هو فرحُ الحياةِ المسيحيّة. عندما يقولُ اللهُ «أنا أغفِرُ لك»، لا يعودُ يحسِبُ عليك خطاياكَ فيما بعد. يقول الرسولُ بولس للذين هم في المسيح «لَا شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية ٨: ١). هذا لا يعني أننا لن نقفَ لنعطي حسابًا عن أعمالنا، بل يعني أن الذين هم في المسيحِ لن يقعوا تحت دينونةِ غضبِ الله. يتمتّع المؤمنون بعلاقةٍ تمَّ شفاؤُها وإصلاحُها مع خالقِهم، وستستمرُّ إلى الأبد. هذه هي المنفعةُ الكبيرُة والبركةُ التي يستطيعُ البشرُ أن يختبروها على الدوام.

لا يَعِدُ اللهُ بقيامةِ الروحِ وبسلامِ الفكر فقط، بل يعدُنا أيضًا بتجديدِ أجسادِنا. أحيانًا أقول لنفسي «أنا بحاجةٍ لجسدٍ جديدٍ لأن القديمَ يبلى». يقولُ الله إننا في القيامة سنُعطَى أجسادًا مُجدَّدة، أجسادًا مُمَجَّدة لا تموتُ ولا تفنى، أجسادًا تعملُ دونَ ألمٍ ولا مرضٍ ولا فساد ولا موت.

عندما يصرّحُ قانون الإيمان «أؤمنُ بقيامةِ الأجساد»، يظنُّ بعضُ الناسِ أن هذا تأكيدٌ على قيامةِ المسيح. كلا، بل ما يعنيه هنا هو أجسادُنا نحن. فالذين يؤمنونَ بالمسيحِ سيختبرونَ قيامةَ أجسادِهم كنتيجةٍ لقيامةِ المسيح.

أطلق بلايز باسكال، عالم الرياضيات والفيلسوف واللاهوتي العظيم، على الإنسان تسمية «المفارقة العظمى». قال إن الإنسانَ هو المخلوق الأكثرَ عظمةً والأكثرَ بؤسًا في

الوقتِ عينه. فعَظَمةُ الإنسانِ تكمُنُ في قدرتِهِ على التأمُّلِ والتفكير. لكن في هذا بالذاتِ أساسُ بؤسِهِ. لدى الإنسان القدرةَ الدائمة على تصوِّرِ وجودٍ أفضلَ من الذي يتمتع به في الحاضر، وأفضلَ من الذي يستطيعُ أن يصنعَهُ. نحن نتعايشُ دائمًا مع آمالِنا المخيَّبةِ للآمال! أستطيعُ دائمًا أن أتخيّلَ حياةً دونَ ألمٍ أو عذابٍ أو موت، لكني لا أستطيعُ أن أجعل حياةً كهذه حقيقةً واقعة. يقولُ البعضُ إن أساسَ الدين هو التالي: عرضٌ لأحلامِنا وأمانِينا في حالةٍ مستقبليةٍ معينة نتمنّى وجودَها.

لكن ما يعلّمُه لنا الكتابَ المقدس ليس مجرّد تتميمٍ لأمنيّة. فيسوعُ المسيح قد غلبَ الموت، وأعلنَ أنه سيأتي وقتٌ ستقومُ فيه أجسادُنا بفضلِ غفرانِ الخطايا. من يثقُ في المسيح سينالُ الحياةَ الأبدية؛ حياةٌ يقول الربُّ

إنـه فيهـا سيمسـحُ كلَّ دمعـةٍ مـن عيوننا. لـن يعودَ هنـاك ألمٌ ولا حـزنٌ ولا مـوتٌ ولا خطيـة. ألا تريدُ أن تحظـى بـكلِّ هـذا؟ كلُّنـا مذنبـونَ بالخطايـا، لهـذا نحـن نسـتحقُّ العقـابَ الأبـديّ. يخبرُنـا الكتـابُ المقـدس أن «الْجَمِيـعُ أَخْطَـأُوا وَأَعْوَزَهُـمْ مَجْـدُ اللـهِ» (رومية ٣: ٢٣). لقـد أتى هـذا المخلّص لـكي يمحـوَ ذنوبَنـا ويعطيَنـا الحيـاةَ الأبديّـة. وذبيحتُـه الكفاريّـة تغسِـلُ خطايانـا. إن الإنجيـل هـو أخبـار سـارة لـك. إن كنـتَ لا تؤمـنْ بهـذا المخلّـص، ألا تثـق بـه الآن لـكي يَغفـرَ لـك خطايـاك؟

إن جوهـرَ الإيمـانِ المسـيحيّ هـو الإنحيـل. والإنجيـلُ لديـه مَطلَـبٌ: إمـا أن تثـقَ بيسـوعَ المسـيح في مسـألةِ الغفـران أو أن تُنكـرَ وتتجاهـلَ هـذا الإنجيـل. وتجاهلَـه يعنـي بالـضرورةِ نكرانَـه. يبـدأُ الإنجيـلُ بمغفـرةِ الخطايـا، الأمـرُ الـذي يعتمـدُ عليـه كلُّ شيءٍ آخـرَ في قانـونِ الإيمـان:

واحدٌ هو اللهُ الآب الظابط الكل، الذي خلقَ السماء والأرض، الذي أرسلَ روحَهُ ليحُلَّ على عذراءٍ فحمِلَت وولَدتِ ابنًا. ذلك الإلهُ الكليُّ القدرة، إلهُ السماواتِ والأرض هو من أرسلَ ابنَهُ لكي يحملَ الدينونة عنّا في عهدِ بيلاطسَ الْبُنْطِيّ، ولكي يُصلبَ ويموتَ ويُدفَنَ؛ لكي ينزلَ إلى الهاوية ويقومَ من الموت ويصعدَ إلى السماء. وهو جالسٌ الآنَ عن يمينِ الله ويقولُ إنه سيعودُ يومًا ليدينَ كلَّ إنسان. فهل سيجدُ في ذلك اليوم أنك تثقُ بالمسيحِ لغفرانِ خطاياكَ وللحياة الأبدية؟ أم أنك ستكونُ بين الذين رفضوا أن يثِقوا به ليغفرَ خطاياهم، وهكذا تواجهُ العقابَ الأبديّ؟ نحن ننالُ الغفران من خلال الإيمانِ بيسوع. فهو الذي أرسلَ الروحَ القدس، والذي خلَقَ مجتمعًا يُدعى الكنيسة، والذي يعِدُنا بقيامةِ الأجساد وبالحياةِ الأبدية.

خدمات ليجونير

خدمات ليجونير هي هيئة دوليَّة للتلمذة المسيحيَّة أسَّسها عالم اللاهوت الدكتور أر. سي. سبرول في عام ١٩٧١ من أجل إعلان قداسة الله وشرحها والدفاع عنها في كل ملئها لأكبر عدد ممكن من الناس.

بدافع من الإرساليَّة العُظمى، تُقدِّم خدمات ليجونير موارد التلمذة حول العالم سواء مطبوعة أو رقميَّة. تتم ترجمة موارد موثوق بها من كتب ومقالات أو دبلجة سلاسل تعليم بالفيديو إلى أكثر من أربعين لغة. رغبتنا هي دعم كنيسة يسوع المسيح من خلال مساعدة المؤمنين على معرفة ما يؤمنون به، ولماذا يؤمنون به، وكيف يعيشونه، وكيف يشاركونه مع الآخرين.

الموقع الإلكتروني لخدمات ليجونير:
https://ar.ligonier.org

ندعوكم للانضمام إلينا عبر وسائل التواصل الاجتماعي التالية:
facebook.com/LigonierAR
twitter.com/LigonierAR
t.me/Ligonier_Arabic

للتواصل معنا:
info@ar.ligonier.org

أيُّ سباق تركض فيه؟

ما هو أهم هدف في حياتك؟ هل حقًا يستحق أن تسعى وراءه؟

بسبب أننا محاطون بضجيج وازدحام العالم المتوتر من حولنا، غالبًا ما ننشغل بأهداف تافهة ولا معنى لها بدلًا من التركيز على ما هو حقيقي وأبدي.

يصف الدكتور أر. سي. سبرول في هذا الكُتيِّب أهم سباق في حياتنا: سباق الإيمان. وبينما يُسلِّط الضوء على الآثار المُترتِّبة على العقيدة المسيحيَّة ويشير إلى الطريق للنصرة، نأمل أن يتم تحفيزك للنظر في كيفيَّة سير حياتك وما إذا كنتَ تسابق نحو الحياة الأبديَّة.

الدكتور أر. سي. سبرول هو مُؤسِّس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو (St. Andrews Chapel) في مدينة سانفورد بولاية فلوريدا، كما كان أوَّل رئيس لكلِّيَّة الكتاب المُقدَّس للإصلاح (Reformation Bible College). وهو مُؤلِّف أكثر من مئة كتاب، بما في ذلك «**كلُّنا لاهوتيُّون**» و«**أدهَشَني الألم**».

خدمات ليجونير